ترجم الى العربية بعنوان: «المفهوم المادي للمسألة اليهودية»، من الدراسات الشاملة والمتعمقة، التي تناولت هذا الموضوع بإسهاب وتفصيل. ففي هذا المؤلف، تتبع ليون جذور المسألة منذ بدايتها وفي سياق ظروفها التاريخية. وبتحديد دقيق للزمان والمكان اللذين حصلت فيهما ملاحقة اليهود واضطهادهم. ويصل ليون، في تتبعه لهذه المسألة، الى نتيجة يدحض فيها، بالوقائع المادية لتاريخ اليهود، الادعاءات الصهيونية التي تتحدث عن شتات قسري لليهود عبر التاريخ، وعن ملاحقة لهم في كل زمان ومكان. ويبين ليون خطأ المنطق الصهيوني القائل بحق تاريخي لليهود في فلسطين. والدراسة، في تبيانها خطأ المنطق الصهيوني، تدحض التفسيرات الغيبية التي تدعي أن يهود اليوم هم من سلالة عبرانيي الأمس، الذين كانوا قد أقاموا دولتهم على جزء من فلسطين، حوالى ٧٠ سنة، قبل حوالى الفي عام.

ولأن المنطق الصهيوني لايصمد أمام حقائق التاريخ الدامغة، يبقى هناك تفسير واحد لأسباب مسألة اليهود، والذي حدده ماركس بالوظيفة الاجتماعية ــ الاقتصادية لليهودي في المجتمع. وتبقى أمام البحث العلمي حيال ذلك، مهمة واحدة، وهي السعي في البحث عن أسباب استمرارية هذا الدور لليهودي عبر التاريخ، ومن ثم أسباب انفجار المشكلة مع نشوء النظام الرأسمالي وبلوغها ذروتها «مع اكتمال المجتمع البرجوازي»[٢٧].

الرأسمالية وضعت أسس حل مشكلة اليهود لكنها لم تحلها

في حين يدّعي المنظرون والساسة الصهيونيون أن التاريخ اليهودي عبارة عن سلسلة من الاضطهادات تعرض لها اليهود في كل الأوقات والأزمان متجاوزين تحديد الظرف التاريخي والبلد المعني الذي حصلت فيه هذه الاضطهادات، فان الحقائق التاريخية تبين أنه لم تكن هناك مشكلة يهودية واضطهاد لليهود بالمطلق. بل ان الفئات الغنية من اليهود كانت، على العكس من ذلك تماماً، تحظى بامتيازات لدى الطبقات الحاكمة نظراً لأهمية دورها الاقتصادي والمالي في تعزيز وجود تلك الطبقات[٢٨]. وفي هذا الصدد يشير ابراهام ليون الى أن وضع اليهود لم يكف عن التحسن منذ أفول الامبراطورية الرومانية بعد الانتصار الكامل للمسيحية حتى القرن الثاني عشر. و «بانهيار الأوضاع الاقتصادية ازدادت أهمية الدور التجاري لليهود، حتى انهم شكلوا في القرن العاشر الرباط الاقتصادي الوحيد بين أوروبا وآسيا»[٢٩]. لكن وضع اليهود بدأ بالتفاقم، مع نمو المدن ونشوء طبقة تجارية وصناعية محلية في أوروبا الغربية، في حين ظل وضعهم مزدهراً في بلدان أوروبا الشرقية التي كانت أقل تطوراً من أوروبا الغربية. وتفسير ذلك انه مع نشوء البرجوازية المحلية في أوروبا الغربية انتفت الوظيفة الاقتصادية لليهود هناك، فتمّ طردهم من المواقع التجارية وتحولوا الى الربا. ومع تحول الاقتصاد الزراعي، في مرحلة متقدمة، الى اقتصاد بضاعي تم نسف مراكز المرابين أيضاً[٣٠]. فكان أمام اليهود الغربيين المطرودين من وظيفتهم الاجتماعية اما الاندماج بالبرجوازية المحلية الصاعدة، وقد حصل ذلك في بعض الأحيان، واما الانتقال من بلد الى آخر بحثاً عن الدور المفقود. وفي المتنقلين، نشأت مشكلة الذين لم يندمجوا. ويفسر ما تقدم انتقال مراكز الحياة اليهودية الى أوروبا الشرقية التي ظلت تحت هيمنة الاقطاع حتى القرن الثامن عشر. اذ «وجد الرأسمال التجاري والربوي